السلطان سليم الثالث

فترة الحكم: ١٧٨٩-١٨٠٧

السلطان العثماني الثامن والعشرون

الألقاب والأسماء الشعرية: جهانْدار، غازي، حليم، إلهامي

اسم الأب: مصطفى الثالث

اسم الأم: السلطانة الوالدة مهري شاه

محل وتاريخ الميلاد: إسطنبول،
٢٤ ديسمبر/كانون الأول عام ١٧٦١

العمر عند اعتلاء العرش: ٢٨ عاما

سبب وتاريخ الوفاة: الاغتيال، ٢٨ يوليو/تموز ١٨٠٨

مكان الوفاة وموقع القبر: إسطنبول،
ودفن في مقبرة مصطفى الثالث في لَالَلِي بإسطنبول

أولاده: كان عقيما فلم يعقب أولادا

لوحة تصور السلطان سليم الثالث، رسمها الفنان قسطنطين الكابيداغي، وهي موجودة في متحف "طوب قابي".

لم تنجب السلالة العثمانية أي وريث بعد عام ١٧٢٥، ولهذا فقد كان ميلاد السلطان سليم الثالث مناسبة لاحتفال ضخم. كان سليم الثالث في سن الثالثة عشرة عندما تُوفي والده. وتلقى تعليما ممتازا، وسمح له عمه عبد الحميد الأول بأن ينشأ وسط بيئة متحررة. وكان سليم الأول على دراية بالأخبار العالمية، ويتمتع بعقلية إبداعية. وأدى اعتلاؤه العرش في سن صغيرة ولكن ناضجة، على عكس سابقيه، إلى إحداث تغييرات جذرية في مصير الدولة العثمانية.

استمرت الحروب مع روسيا والنمسا في السنوات الأولى من حكمه. ومن أجل ذلك قاد عددا من حملات جمع التبرعات لتغطية نفقات الجيش الذي يحارب على جبهتين. وفي عهده تحالفت السويد مع الدولة العثمانية وشنت حربا ضد روسيا، لكن الأنباء القادمة من جبهات القتال، والتي تحدثت عن خسائر في الأراضي، كانت مخيبة للآمال؛ حيث استولت روسيا على بندر على الضفة الغربية من نهر الدنيستر، وبلدة كِيليا وحصن "آق كِرمان"، في حين استولت النمسا على بوخارست وبلجراد.

تشير السجلات إلى أن السلطان سليم الثالث، الذي أحزنته الخسائر الهائلة في الأراضي، قام بزيارة إلى مسجد أبي أيوب الأنصاري وقام بالصلاة والدعاء طويلا هناك. وفي عهده تحالفت بروسيا مع الدولة العثمانية وحشدت بعض قواتها على حدودها مع النمسا. وشعرت النمسا بالقلق من انتشار أفكار الثورة الفرنسية في تلك الأراضي، فألغت تحالفها مع روسيا ووقعت على معاهدة زيشتوفي مع العثمانيين عام ١٧٩١. نصت المعاهدة على أن النمسا سوف تعيد الأراضي التي استولت عليها من العثمانيين خلال الحرب.

واصلت روسيا الحرب لمدة أطول، لكن شيئا غير متوقع حدث في ذلك الوقت؛ فلأول مرة في تاريخ الدولة العثمانية قام القادة العثمانيون في الحرب بكتابة التماس للسلطان يطالبونه فيه بإنهاء الحرب الجارية، فكان ذلك مؤشرا على وجود مشكلات في سلسلة قيادة الجيش التي دُللت وأصبحت متغطرسة في نفس الوقت الذي كان الجيش يعاني فيه حالة من سوء الإدارة والفوضى. وفي الوقت الذي كانت للثورة الفرنسية آثار بعيدة المدى في جميع أنحاء أوروبا، وكانت السويد ملتزمة بتحالفها مع الدولة العثمانية، بات وجود إدارة فعالة وذات كفاءة للجيش أمرا يعد بتحقيق انتصارات حاسمة. غير أن السلطان سليم الثالث قرر توقيع معاهدة "ياش" مع الروس عام ١٧٩٢، وخسر المزيد من الأراضي. وأصبح نهر الدِّنْيَسْتَر يمثل الحدود الجديدة بين الدولة العثمانية وروسيا. ومن أهم نتائج هذه المعاهدة أن العثمانيين أدركوا أنه لا مجال لاستعادة القرم؛ فالحروب التي خاضها العثمانيون لاستعادة القرم لم تسفر عن أية نتائج إيجابية، بل أسفرت عن خسارة المزيد من الأراضي. واستقبل السلطان

جيشه العائد من الحرب التي دامت أربع سنوات.

حدثت في ذلك الوقت مشكلتان تمثلتا في الاضطراب السياسي والاجتماعي في الأناضول وارتفاع موجة الهجرة إلى إسطنبول. حيث تسببت ضغوط الأعيان المحليين في ترك الكثير من المزارعين أراضيهم وهجرتهم إلى العاصمة إسطنبول، فتسببوا في اضطراب مدني، ونقص في الغذاء، كما ساهموا في التضخم المتصاعد.

اهتم السلطان كثيرا بالمشكلات العديدة التي أصابت العاصمة، ولذلك بدأ بالعمل على تطبيق مجموعة من الإصلاحات عندما ظلت الأمور تسوء. ولإدراكه أن الدولة العثمانية تأخرت كثيرا عن أوروبا من الناحيتين الاقتصادية والعسكرية فقد استشار رجال الدولة قبل البدء في إصلاحاته وطلب منهم أن يبدوا مقترحاتهم حول ما ينوي القيام به. وبشكل محدد تقدمت لجنة يرأسها أبو بكر راتب أفندي، السفير العثماني في باريس، وبرترانود الفرنسي، ودوهسون السويدي بتقرير شامل مكون من ٧٢ بندا بشأن تطبيق الإصلاحات وأساليب معالجة المشكلات في العاصمة.

وردا على واقع الجيش العثماني الذي عانى من هزيمة تلو الأخرى، قام السلطان بإنشاء فيلق صغير من القوات أسماه "النظام الجديد" عام ١٧٩٣، وخصص للإنفاق عليه موردا سُمي "الإيراد الجديد"، وألبس القوات الجديدة زيا عسكريا على طريقة الجيوش الأوروبية.

وفيما بعد استخدم اسم "النظام الجديد"، الذي أطلق على القوات العسكرية الجديدة، ليشير بشكل أوسع إلى الحركة الإصلاحية التي قادها السلطان سليم الثالث. وشارك خبراء أوروبيون في تحديث المدفعية وقاذفات القنابل، ووحدات حفاري المناجم. وبالإضافة إلى هذا افتتحت مدرسة هندسة الأراضي (وهي كلية عسكرية جديدة)، وأعيد تنظيم ورش بناء السفن وضبطها؛ فنجحت هذه الورش في المقابل في بناء السفن الحديثة والسفن الحربية التي كانت الدولة في أمس الحاجة إليها. وفي نفس العام أقام العثمانيون سفارات دائمة في لندن وباريس وفيينا وبرلين بغرض تتبع التطورات في أوروبا.

وللوقاية من حدوث أي حرائق مدمرة في المستقبل أو الحد من تأثيرها في إسطنبول قام السلطان سليم الثالث بنشر "نظامْ نامه" (أي المراسيم التنظيمية) بهدف توحيد مواقع المباني وارتفاعاتها.

لقد استفادت فرنسا كثيرا جدا من الامتيازات الدبلوماسية والتجارية التي حصلت عليها من العثمانيين، بل إنهم حققوا ثروة من هذه الامتيازات، ولهذا السبب، شعر العثمانيون بالدهشة عندما قام القائد العسكري الفرنسي نابليون بونابرت بغزو مصر عام ١٧٩٨ خلال حكم السلطان سليم الثالث، بل كان الغزو شيئا مروعا بالنسبة للحكومة العثمانية. ثم حرق البريطانيون الأسطول الفرنسي الرابض في ميناء أبو قير لأن اختراق الفرنسيين للبحر المتوسط كان أمرا مزعجا بالنسبة لهم. فأدى هذا الحدث إلى تقارب بين بريطانيا والدولة العثمانية. وبدعم من بريطانيا وروسيا أعلن السلطان سليم الثالث الحرب على فرنسا، الصديق القديم.

لوحة زيتية تصوّر السلطان سليم الأول، رسمها الفنان العثماني اليوناني قسطنطين الكابيداغي عام ١٨٠٣، وهي موجودة بمتحف قصر "طوب قابي".

رسم زيتي يصوّر السلطان سليم الثالث ممتطيا جواده،
وهي من رسوم هيبولايت بيرتو(Hippolite Bertaux)، وموجودة حاليا بمتحف قصر "طوب قابي".

سار نابليون نحو سوريا لإجبار العثمانيين على الدخول في هدنة، وكذلك لكسب بعض الوقت لإعادة بناء أسطوله. واختبرت قوات النظام الخاص نفسها في المواجهة مع الفرنسيين، وفي النهاية حقق العثمانيون نصرا حاسما. واضطر نابليون، القائد العظيم للجيش الفرنسي، إلى مواجهة الهزيمة، وأخرج قواته من مصر وفقا لمعاهدة تم توقيعها في العريش على ساحل البحر المتوسط بشبه جزيرة سيناء عام ١٨٠١.

ثم بدأ الروس، الذين تحالفوا مع العثمانيين خلال الاحتلال الفرنسي لمصر، سريعا في إحداث مشكلات في البلقان، فرد العثمانيون على ذلك بعزل أمير والاشيا وأمير مولدافيا، اللذَين كانا مواليين لروسيا، كما منع العثمانيون السفن الروسية من المرور عبر المضايق. لكن الروس أرادوا إعادة الأميرين إلى منصبيهما، وتحركوا لضم والاشيا ومولدافيا. وشعر السلطان سليم الثالث بالفزع الشديد للمرة الثانية بعد الغزو الفرنسي لمصر، بسبب تجاهل الروس للتحالف الذي تم توقيعه مؤخرا مع العثمانيين، ولأن روسيا مازالت عازمة على أن تفعل أي شيء لغزو القسم الأعلى من البلقان. دخل العثمانيون في حرب جديدة ضد الروس، وهي حرب ستستمر حتى بعد حكم السلطان سليم الثالث.

لم تحظ الحركة الإصلاحية التي قادها السلطان سليم الثالث تحت عنوان "النظام الجديد" بتأييد العلماء العثمانيين والتجار والأقليات والانكشارية والشعب بشكل عام. وكانت الكوارث الطبيعية التي ضربت الأراضي عام ١٨٠٥ مؤشرات سيئة بالنسبة لهم، كما ردوا بشكل فعلي على رغبة السلطان في إطلاق إصلاحاته من الروملي؛ فحدثت انتفاضة اجتماعية وانتشرت، ونتج في النهاية فوضى شديدة بسبب التمرد الذي قاده "قَبَاقْجِي مصطفى"، الذي كان يعمل متدربا في "روملي كواغي" على البوسفور.

كان بإمكان السلطان سليم الثالث إخماد التمرد بسهولة لو أنه استخدم قواته العسكرية الجديدة التي قام بتحديثها واستثمر فيها الكثير من الأموال وكان قويا بما يكفي لهزيمة جيش نابليون بونابرت، لكن السلطان اختار ألا يستخدم هذا الجيش كي لا يريق المزيد من الدماء. ورغم مقصده الإنساني فإن حالة الدولة كانت في غاية الوضوح. ودعا السلطان ابن أخيه الأمير مصطفى، وأبلغه أنه سيتخلى عن العرش له، وتمنى له التوفيق. وكان هذا يعني التخلي عن جميع الإصلاحات التي قضى فيها السلطان وقتا كبيرا، وبذل من أجلها الكثير من الوقت والجهد. فكانت انهزامية السلطان في نهاية المطاف عاملا ساهم في انسحاب الدولة العثمانية من مسرح التاريخ.

قبل نحو عام من اغتياله اعتزل السلطان سليم الثالث الناس واعتكف في قسم الحريم بالقصر (والذي يعني المكان الذي لا يجوز انتهاك حرمته)، وقضى أغلب وقته في قراءة القرآن والعزف على الناي لم يكن للسلطان سليم الثالث أي رغبة في العودة إلى العرش، ورغم ذلك فقد أمر السلطانُ مصطفى الرابع بقتل السلطان والأمير محمود بعدما قام أحد أتباعه، وهو "عَلَمْدار مصطفى باشا"، بتسيير قواته نحو إسطنبول، والقضاءِ على

المتمردين ومحاصرة قصر "طوب قابي". في ذلك الوقت استُدعي السلطان سليم الثالث للخروج من غرفته، وتم اغتياله. وأُلقيت جثة السلطان القتيل في مقدمة "قاعة الحضور" بقصر "طوب قابي". وهرع عَلَمْدار مصطفى باشا إلى القصر لإنقاذ السلطان سليم الثالث، وعندما رأى جنازة السلطان مخضبة بالدماء انخرط في بكاء شديد، ولم يستطع سوى إنقاذ وريث العرش الأمير محمود بمساعدة "جوري كالفا"، أحد المشرفين على القصر.

كان السلطان سليم الثالث شديد الاهتمام بالإصلاحات، التي كان يعتبرها دواء لعلاج أمراض الدولة. وكان أفراد الشعب العثماني يعرفونه تمام المعرفة، حتى إنهم كانوا يتعرفون عليه خلال الزيارات التي كان يقوم بها إلى العامة متنكرا في شكل جندي عادي من جنود سلاح المدفعية. وبالإضافة إلى هذا، علَّمته تلك الزيارات ما يشعر به الناس وما يعانونه. لقد أراد السلطان سليم الثالث حل المشكلات التي لاحظها في تلك الزيارات من خلال وضع العديد من القوانين والتنظيمات، مثل القوانين الخاصة باستخدام السلع المحلية، وتجنُّبِ الإسراف والتبذير، ووضع قواعد خاصة بملابس المرأة، وتقديم موارد الإعاشة للمحتاجين. كان السلطان يرتدي ملابس تمت حياكتها

جامع صوفا في الفناء الرابع لقصر "طوب قابي"، ويطل على البوسفور. وفي هذا المكان كان يوجد في السابق جناح حاملي السلاح؛ حيث كان رجال الدول يعقدون اجتماعا لخلع السلطان سليم الثالث بعد تمرد كاباكجي مصطفى. وعجل قرارهم بالتنفيذ سلسلة من الأحداث انتهت بمقتل السلطان سليم الثالث في القصر. وظل هذا الجناح يذكِّر السلطان محمود الثاني بما حدث لعمه السلطان سليم الثالث، فقام بإزالة الجناح وأنشأ مكانه مسجدا، مازال يصلى فيه حتى اليوم.

مسجد السليمية أنشأه السلطان سليم الثالث بجوار ثكنات السليمية في أوسكودار للجنود كي يتمكنوا من أداء الصلاة يوميا. تصوير علي رضا بك.

في المصانع المحلية والتي تجلب من إسطنبول وأنقرة، وليس من الهند أو فارس، بل كان السلطان يوبخ من لا يحذو حذوه في هذا الأمر.

كان السلطان سليم الثالث رجلا مولعا بالفنون، وكان موسيقيا موهوبا؛ حيث كان أحد أكبر رموز الموسيقى التركية الكلاسيكية، ومازالت مقطوعاته الموسيقية تعزف في تركيا حتى الآن. وفي نفس الوقت كان سليم الثالث شاعرا بارزا وخبيرا في فن الخط العثماني.

شهد عهد السلطان سليم الثالث إنشاء جامع أسكودار السليمية وثكنات السليمية، وكلاهما مازال موجودا ويعمل حتى الآن. كما تم كذلك في عهده إعادة بناء مسجد أبي أيوب الأنصاري، الذي كان قد تعرض لتدمير شديد. وأضاف السلطان لقصر "طوب قابي" غرفة خاصة تحمل اسمه، وغرفة مخصصة لأمه، كما قام بشحن قطع ثمينة من القماش إلى مكة والمدينة لتغطية وتزيين الأماكن المقدسة، وقبر الرسول ﷺ، وآل بيته، وأصحابه.

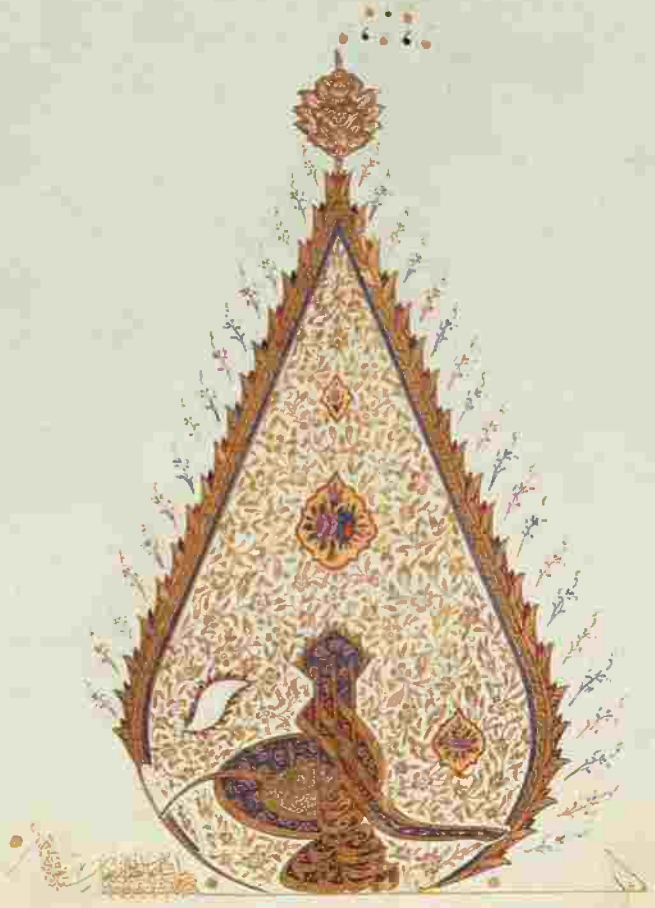

طغراء السلطان سليم الثالث

السلطان سليم الثالث في حفل المعايدة أمام بوابة السعادة في الفناء الثاني لقصر "طوب قابي"، رسمها الفنان قسطنطين الكابيداغي.

Russia
Donets
Dnieper
Don
Volga
KABARDIN
Bender
Yedisan
Crimean Khanate
Azov
Kuban
Astrakhan
Akkerman
Aral Sea
Akyar (Sevastopol)
BLACK SEA
Caucasia
Dagestan
CASPIAN SEA
Sinop
Samsun
Batumi
Kars
Georgia
Shirvan
Trabzon
Erzurum
Iznik
Bursa
Ankara
Erzincan
Oltukheli
Yerevan
Azerbaijan
Van
Serav
Konya
Lake Urmia
Tebriz
Adana
Diyarbakır
Marj Dabik
Antakya
Aleppo
Mosul
Tehran
Rhodes
Cyprus
Latakia
Syria
Tigris
Hamedan
Qasr-e-Shirin
Beyrut
Euphrates
Safavid Persia
Damascus
Baghdad
Hafya
Jaffa
Dumyat
Jerusalem
Isfahan
Ridanieh
Arabia
Basra
Alexandria
Suez
Cairo
Shiraz
Sinai
Aqaba
Kuwait
PERSIAN GULF
Hijaz
Egypt
RED SEA
Al-Qatif
Medina
Mecca

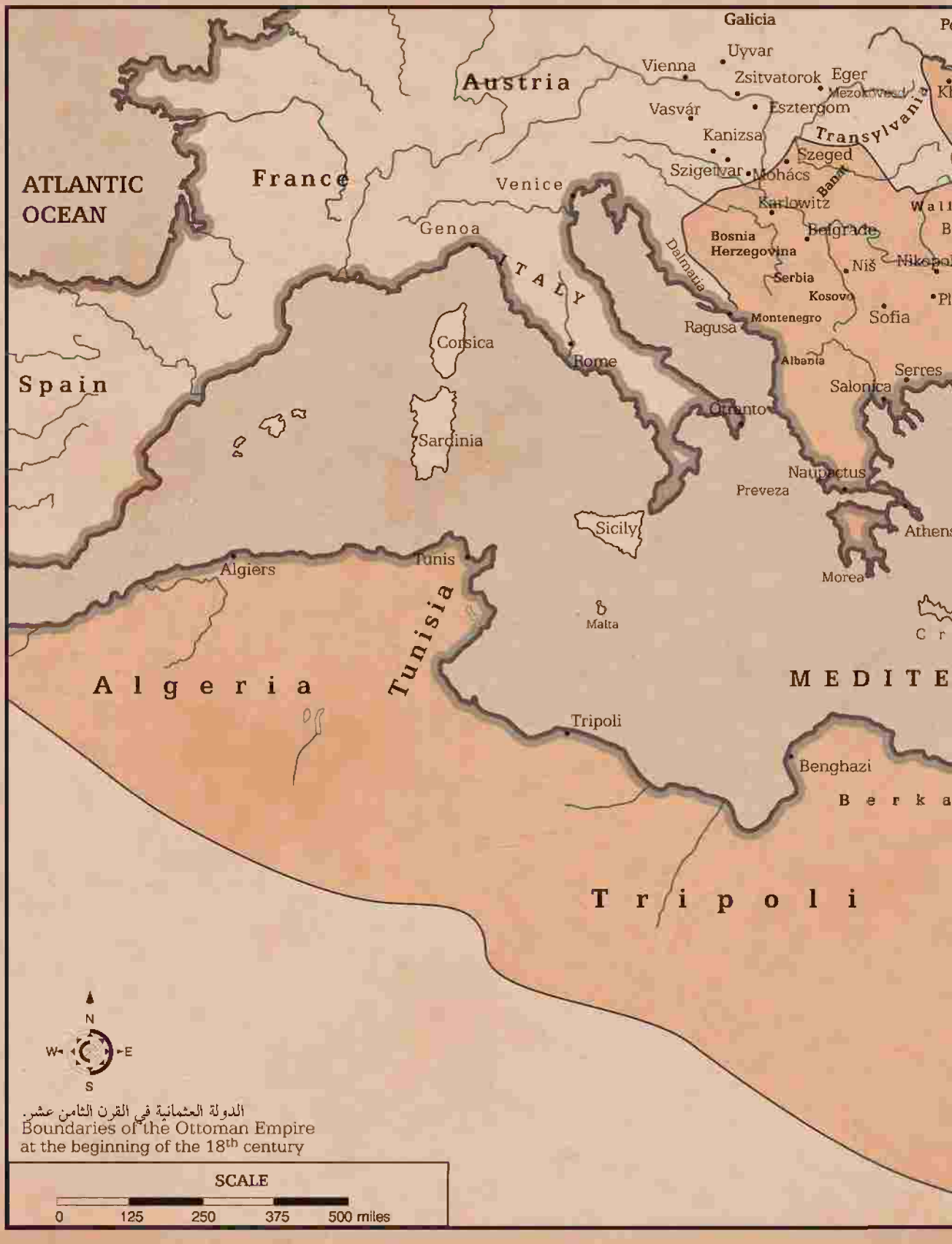

الدولة العثمانية في القرن الثامن عشر.
Boundaries of the Ottoman Empire at the beginning of the 18th century